

**الأكاديمية الأوروبية للتراث القبطي**  
**The European Academy for Coptic Heritage**  
**(TEACH)**

الحاضرة الحادية والعشرون في يوم الجمعة ١٩ فبراير سنة ٢٠٢١م

## القوانين المصرية المنسوبة إلى القديس يوحنا ذهبي الفم

### مقدمة موجزة

هذه القوانين - وطبقاً لمضمونها - هي لواحد من بطاركة الكنيسة القبطية في القرن السادس الميلادي<sup>(١)</sup>، لأنها حتماً جاءت بعد قوانين البابا أثناسيوس الثاني الـ ٢٨ (٤٨٩-٤٩٦م). وهي عبارة عن تلخيص خُر لأجزاء مختارة من الكتائين الثاني والثالث من كُتب القديس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م) الستة عن الكهنوت المسيحي<sup>(٢)</sup>، حيث قُسمت هذه الأجزاء المختارة إلى ١٢ قانوناً، لذلك نَسبها مؤلفها إلى القديس يوحنا ذهبي الفم لتُحفظ من الضياع. ولتجد قبولاً عند السامعين لها.

وتُلقي هذه القوانين الضوء على حال الكنيسة القبطية بوجه عام في غضون القرن السادس الميلادي، وهي فترة كثرت فيها القوانين المصرية التي سُميت بأسماء بعض كبار القديسين، ومنها يتضح مقدار الضعف الروحي الذي دخلت فيه الكنيسة القبطية في هذا الوقت، لاسيما بعد أن توقّف التعليم عن الإيمان سواء من جهة مدرسة الإسكندرية اللاهوتية التي أفل نجمها بصفة نهائية، أو من جهة رتبة الموعوظين في الكنيسة، والتي تلاشت منذ هذا الوقت فصاعداً.

ولقد استعان أنبا ميخائيل مطران دمياط في القول التاسع من مجموع قوانينه في القرن الثاني عشر الميلادي، وهو بعنوان: "من أجل إقامة الأسقف"، بثلاثة قوانين منها. كما ذكرها أيضاً ابن كبر (١٣٢٤م) في موسوعته الطقسية<sup>(٣)</sup>.

### نصُّ القوانين

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد<sup>(٤)</sup>

قوانين الأب الفاضل القديس الطاهر يوحنا لسان الذهب بطريرك القسطنطينية وهم اثني عشر قانوناً، صلواته معنا آمين.

### القانون الأول

لا يهولك شتيمة الناس إن كان إكرامهم إياك إلى أن تهين الله. فاعلم أنك إن حزنت علي شتيمتهم إياك فهي خطيئة لأنه

١ - ذلك لأن قوانين هيبوليتس تُعرف في المراجع الأجنبية باسم "القوانين المصرية" لأنها أوّل قوانين تعرفها الكنيسة القبطية، إذ أن قوانين البابا أثناسيوس الثاني، هي في أصلها مقالة مطولة، قسمت فيما بعد إلى قوانين. ولقد استعانت قوانين هيبوليتس من قوانين البابا أثناسيوس الثاني. وما جاء من قوانين مصرية في هذه الفترة جاء بعد قوانين هيبوليتس، أي في غضون القرن السادس الميلادي.

٢ - وجلس على كرسي كنيسة الإسكندرية في هذه الفترة سبعة من الآباء البطاركة، من البابا يوحنا الأول الـ ٢٩ (٤٩٦-٥٠٥م) - مروراً بالباباوات يوحنا الثاني، وديسقوروس الثاني، وتيموثاوس الثالث، وثيودوسيوس (وهو أشهرهم) وبطرس الرابع - إلى البابا داميانوس الـ ٣٥ (٥٦٩-٦٠٥م).

2- CPG 4316.

الکهنوت المسيحي، هو في الحقيقة كتاب واحد مقسّم إلى ستة أبواب، وكلُّ باب منها يُسمّى كتاب.

٣ - أشار إليها بن كبر بقوله: "وهي أقوال لطيفة مشتملة على وعظ للكهنة وغيرهم، وإنذار وحكمة وتعليم. عدّها ١٢ قولاً نثراً، لا فهرست لها".

٤ - نصُّ القوانين هي طبقاً لمخطوط رقم (عربي ٢٥١) بالمكنبة الأهلية بباريس، وهو مجموع قوانين مقارنه الرّاهب، ويعود إلى القرن الرابع عشر الميلادي. أمّا مضاهاة القوانين بما ورد عنها في كتاب الكهنوت المسيحي للقديس يوحنا ذهبي الفم، فاستعنت فيها - مع التصرف - بمحاضرة للدكتور مرفت ثابت صليب، أُلقيت في مؤتمر أصدقاء التراث العربي المسيحي، خلال الفترة ٢٣-٢٥ فبراير سنة ٢٠١٧م. بمقر جمعية الآثار القبطية بالقاهرة.

إنما ينبغي لمن كان الله غايته أن يُضَمَّدَ ضميره ولا يرى أن شتيمته في الله شتيمه. فإن أهدت جدًّا، فإن أجرك موفَّر في السَّماء.

### الكهنوت المسيحي، الكتاب الثالث

(١٣:٣) احتمال الشَّتائم والإهانات والألفاظ الجارحة والكلمات النَّابية والتَّعبيرات الباطلة من الأدنياء، والتَّعنيف الذي يُطلق جزافاً سواء من الحكَّام أو المحكومين، كلُّ هذه الأشياء لا يقدر كثيرون على احتمالها.

وقد يكتسب البعض قدرة على احتمال التَّدريبات الجسديَّة... لكنَّهم يضعفون أمام الأمور الأخيرة، فيصبحون أكثر وحشيَّة من الحيوانات الضَّارية. أمثال هؤلاء على وجه الخصوص ينبغي أن نُقصيهم عن رُتب الكهنوت، لأنَّه إن كان الكاهن غير ناسك أو زاهد فإنه لن يفيد الكنيسة كثيراً، أمَّا سرعة الانفعال والغضب فهي تؤذي نفس صاحبها والذين يعاشرهم على السَّواء. من يُحب المديح الباطل يُضيف وقوداً إلى نار جهنَّم بقدر عدد الأنفس التي صار رئيساً عليها.

### القانون الثاني

من كان لا يحب المرتبة فلا يهوله العزل عنها. ومن خاف أن يُعزل فليس يقدر يعمل شيئاً بجرأة. فينبغي للتَّصراحي أن لا يخاف، لأنَّ الخائفين المرتعدين من العزل يحتملون عبوديَّة مرَّة مملوءة من كلِّ شر. ومع ذلك أكثرهم يصيرون أعداء الله والنَّاس. وليس هكذا ينبغي أن يكونوا، بل يقاتلون بحمَّة ويقوون... كأبطال الفرسان. أدخل بحريَّة وخرج واعلم أنَّ هذا العزل ليس بدون الولاية في المكافأة عند المسيح جلَّ ذكره، بل إذا عُزلت بحيث (كنت) مظلوماً، زادك ذلك عنده شرفاً وزاد ظالمك عذاباً.

### الكهنوت المسيحي، الكتاب الثالث

(١١:٣) لا يظن أحد أني أعارض القديس بولس الرُّسول حين يقول: «إن اشتهى أحد الأسفُفِيَّة فيشتهي عملاً صالحاً» (١١:٣) فيني لا أقول بأن اشتهاؤ الأسفُفِيَّة أمر رديء، ولكن الرديء هو رغبة التسلط وحب الرُّئاسة. فهذه الشهوة هي التي ينبغي أن يرتفع الإنسان عن مستواها، ويظهر نفسه منها تماماً، وألا يسمح لها من البداية أن تتسلط عليه حتى يكون حرّاً في تصرفاته. ومن لا يشتهي سُلطان هذه الخدمة فإنه لا يخشى حرمانه منها. وهكذا يستطيع أن يتصرف في كل شيء بحرية مجد أولاد الله. أمَّا الذين يرتعدون خوفاً من أن يعزلوا من الكهنوت، فهم يقاسون عبودية مرَّة تجرهم إلى شرور كثيرة، وتقودهم غالباً إلى ما يغضب الله والنَّاس.

### القانون الثالث

قال أيضاً: إنَّ جماعة النَّاس إنما ينظرون إلى أعمال الكهنة ويقناسون بها كمصوِّرٍ يحتذي شبه الصُّورة الأولى. وكيف يستطيع من به دويلة أن يداوي من به دمِّل صغير. (و) مثلما أنَّ أفعال الكهنة الصَّالحة تنفع كثيرين، فإنهم يتشَبَّهون بها، كذلك أيضاً خطاياهم، تُكسِّل النَّاس عن الخير وتُرخيهم عن العمل الصَّالح.

### الكهنوت المسيحي، الكتاب الثالث

(١٤:٣) من شأن الرِّعيَّة التَّشبيه بالرَّاعي والتَّمثل به ومحاكاته في تصرفاته. فكيف يمكن للرَّاعي أن يوقف غضب الرِّعيَّة إن كان هو يشتعل بنار الغضب؟ ومن من الرِّعيَّة يكون وديعاً وهو يرى الرَّاعي سريع التَّهيج؟

### القانون الرابع

قال: إنَّ خطايا أفسى النَّاس تُضُرُّ عامليها خفياً، وأعمال الكهنة المعروفة تُضُرُّ الجماعة.

## الكهنوت المسيحي، الكتاب الثالث

(١٤:٣) نقائص الرُّعاة يصعب إخفاؤها، بل حتى البسيط منها يظهر بوضوح. فالمجاهد ما دام معتكفاً بداره لا ينافس ولا يصارع أحداً، فإنَّ أحداً لا يهتم بنقائضه مهما عظمت، لكن إذا نزل إلى حلبة المصارعة انكشف حاله واقتُضح أمره... النَّاس يحكمون على الخطيئة ليس بمقدارها بل بمنزلة مرتكبها. لهذا ينبغي أن يتحصَّن الكاهن تماماً بسلاح متين من اليقظة والمراقبة الدائمة لأسلوب حياته، حتى لا يجد فيه الرَّاصد موضعاً ضعيفاً يطعنه فيه بطعنة قاتلة.

## القانون الخامس

وقال أيضاً: إنَّ التَّقوى لحسنة. وليس ينبغي أن يُقدَّم صاحبها رئيساً إلاَّ أن يكون مع تقواه فهماً. لأنني أعرف أناساً كثيرين، قد حبسوا أنفسهم الدهر كله حتى اتضعت أنفسهم بالصَّوم، وكانوا في حالهم تلك، إذ لم يتكَلَّفوا بغيرهم، يزدادون عند الله، ويزيدون في الحكمة، شيئاً ليس بصغير. فلما قدَّموهم للكهنوت فكَلَّفوا أنفسهم تقويم اعوجاج آخرين، لم يقتدر أحدهم على ذلك البتَّة، وهرب. وبعضهم كُلف أن يُقيم، فألقى عنه ذلك التَّحقيق الأوَّل الذي كان يعتمد، فحسر أعظم الحسارة. وليس يدخل في الكهنوت من قد كَبُر في الدَّرَجَة السُّفلى إلاَّ أن يكون قد استوجب ذلك.

## مجموع قوانين الأنبا ميخائيل مطران دمياط في القرن الثاني عشر الميلادي

القول التاسع: "من أجل إقامة الأسقف".

وقال يوحنا فم الذهب:

"إنَّ التَّقوى لحسنة. وليس ينبغي أن يُقدَّم صاحبها رئيساً إلاَّ أن يكون مع تقواه، فهماً".

## الكهنوت المسيحي، الكتاب الثاني

(١:٢) يخاطب (المسيح) الرَّسول قائلاً: «بطرس أتجئني؟» ولما اعترف أنه يجبه أكمل الرَّب قائلاً: «إن كنت تجئني ارفع غنمي»... (٢:٢) كان يمكن أن يقول له: "إن كنت تجئني مارس الصَّوم، والتَّوَم على الأرض، والسَّهر الطَّويل، دافع عن المظلومين، كُن أباً لليتيم وللأرملة عوض زوجها. ولكن الحقيقة أنه ترك كلَّ هذا جانباً وقال: «ارفع غنمي» لأنَّ كلَّ الأشياء التي ذكرتها سابقاً يمكن أن يقوم بها كثيرون من المرؤوسين، وقد تقوم بها النساء أيضاً. ولكن عندما يُطلب من شخص أن يقود الكنيسة وتوكل إليه رعاية هذه النفوس الكثيرة، فإنَّ جميع النساء وأكثر الرِّجال يجب أن يتراجعوا أمام عظمة العمل. حينئذ يتقدَّم من علَّت منزلتهم الرُّوحية عن الباقين، وفاقت فضائلهم الكثيرين.

## القانون السادس

قال: كلُّ خطيئة يخطئها الإنسان ولا يداويه الكاهن، فهو شريكه في عذاب الله. مثل طبيب شاء قطع العضو فقتل المريض.

## مجموع قوانين الأنبا ميخائيل مطران دمياط في القرن الثاني عشر الميلادي

القول التاسع: "من أجل إقامة الأسقف".

يوحنا فم الذهب قال:

"كلُّ خطيئة يخطئها الإنسان ولا يداويه الكاهن، فهو شريكه في عذاب الله، لأنه مثل طبيب قد أساء قطع العضو، فقتل المريض".

## الكهنوت المسيحي، الكتاب الثاني

(٣:٢) في حالة الأوجاع البشريَّة، فإنه أولاً ليس من السَّهل على الإنسان أن يشخصها، لأنه لا يعرف أمور الإنسان إلاَّ روح الإنسان الذي فيه. فكيف إذا يقدر أيُّ واحد أن يصف علاجاً لمرض لا يعرف طبيعته؟ حتى لو أصبح المرض معروفاً له،

فإن مهمة العلاج تكون شاقة، لأنه ليس من السهل على الطبيب أن يعالج الجميع بنفس السلطان الذي يتعامل به الراعي مع غنمه ... إن الخاطئ يجب أن يصلح لا بالإرغام بل بالإقناع.

(٤:٢) ماذا على الراعي أن يفعل؟ لأنك إن تعاملت بلطف مع من يحتاج إلى استعمال المشروط ولم تجرح بعقوب من تستدعي حالته ذلك، فكأنك تستأصل جانباً من الالتهاب وتترك الآخر. ومن ناحية أخرى فإنك إن قمت بالاستئصال المطلوب بلا شفقة، فإن المريض إذ تقوده آلامه إلى اليأس، سوف يهرب دفعة واحدة من كل شيء، من العلاج والأربطة معاً، ملقياً بنفسه إلى الهلاك ... لأنه كما أن كثيرين يتعالون غروراً فيسقطون في اليأس من جهة خلاصهم لعدم احتمالهم الأدوية الصعبة، كذلك يوجد آخرون يسقطون في الإهمال من جراء عدم تأديبهم بالعقوبة التي تناسب مع أخطائهم، ويصيرون إلى حال أسوأ.

### القانون السابع

قال: ينبغي للكاهن أن ينظر إلى كل صنف من العذاب، إذ كان ليس عن خطاياها يُسأل فقط، بل عن خطايا آخرين التي يصير منها إلى أقصى الهول، المخيفة.

### القانون الثامن

قال: إن كنا نرتعد مما يجب علينا من خطايا أنفسنا لأنها توجب علينا تلك النار، فلماذا لا ينبغي لنا أن نتوقع البلاء إذ يُسأل عن خطايانا وخطايا الجماعة التي سلّمت إلينا؟

### الكهنوت المسيحي، الكتاب الثاني

(٢:٢) إن من أضعاف غنماً سواء بافتراس الذئب أو سرقة اللصوص أو تفشّي مرض الطاعون أو آفة كارثة أخرى، ربما يجد نوعاً من التساهل من صاحب القطيع. وإن أراد صاحب القطيع تعويضاً، فإن التعويض هنا يكون مادياً. ولكن من يؤتمن على بشرهم خراف المسيح الناطقة، فعليه أولاً احتمال عقوبة ضياع الخراف، عقوبة تفوق الأمور المادية، عقوبة تمس حتى نفسه. وعليه ثانياً أن يخوض صراعاً أعظم وأقسى ... استمع لكلمات الرسول بولس: «مصارعنا ليست مع لحم ودم بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع الولاة على ظلمة هذا العالم، مع أجناد الشر الروحية في السماويات» (أفسس ٦: ١٢) ... فوق هذا ... عندما ينظرون الحارس هارباً منهم بعيداً يكفون عن الحرب معه، ويكتفون بالاستيلاء على القطيع. ولكن في هذه الحالة، حتى عندما يسلبون القطيع كله، لا يتركون الراعي بلا محاربة بل يهاجمونه أكثر، ولا يكفون عن مهاجمته حتى يطرحونه أو ينتصر هو عليهم.

### القانون التاسع

قال: لا يجب لكاهن أن يكون طاهراً فقط على قدر المرتبة، بل ينبغي له أن يكون مع نقائه، فهماً، مجرباً للأمر، عارفاً بالديانات كلها كبعض من فيها، ثم يكون أبعد منها من رهبان البراري.

### الكهنوت المسيحي، الكتابان الثاني والثالث

(١٥:٣) لو كان المرشح على درجة عالية من التقوى - وهذا أمر هام في الكهنوت - فإن لا أستطيع أن أعامر بترشيحه استناداً إلى تقواه فحسب إذا لم يقتن مواهب أخرى.

(١٢:٢) بالنسبة إلى رجل تقدم ليحمل مسؤوليات شعب كبير، ويعني بكل شخص فيه عناية فردية، فكيف يعمل على نوههم إن لم يكن هو على درجة عالية من قوة الإرادة وصلابة العزيمة.

(١١:٢) يجدر بمن نال هذه الخدمة أن يكرس حياته من أجلها، أو يتنحى عنها كما يحق للمسيحي. علماً بأن التنحي لا يقل في مجازاته عن الوفاء بالخدمة.

## القانون العاشر

وقال أيضاً: لا تخف ولا تستحي من شتيمة الأساقفة السوء، ولا يهولنك عظم المرتبة، فإنها لهم كلها بالسوء. ولا تغتر بلباسه جلد الخروف، بل نح الجلد وانظر الديب الدّاخل. لا تنظر إلى حُسن كلامه، بل انظر إلى حقيقة لفظه وجميل أفعاله<sup>(٥)</sup>.

### مجموع قوانين الأنبا ميخائيل مطران دمياط في القرن الثاني عشر الميلادي

القول التاسع: "من أجل إقامة الأسقف".

وقال أيضاً (يقصد ذهبي الفم):

"لا تخف ولا تستح من شتيمة الأساقفة السوء، ولا يهولنك عظم المرتبة، ولا تغتر بلباسه جلد الخروف. نحّ الجلد، وأبصر الذئب الدّاخل. لا تغتر بحُسن كلامه، بل انظر إلى حقيقة لفظه وجميل أفعاله".

## القانون الحادي عشر

وقال أيضاً: احذر جداً إن أنت قدّمت لئختار أسقفاً وتصير على مدينة أن تكون شريراً وجاهلاً بعلم الكُتب الإلهية. فإني أعلم أن كثيرين يقولون اختار المسيح جهلاً صيادي السمك وعشارين. فإن قيل لك هذا، فقل من شاء منكم فليقيم لنا ميتاً واحداً ولا يبالي أن يكون حرّاً أو دَبَاغاً، أو يضع يده على مريض فيبرأ.

### الكهنوت المسيحي، الكتاب الثاني

(١١:٢) يليق بنا أن نكون على حذر من كل جهة وأن نحترس حتى لا تتسرّب سرّاً أي شرارة من نار شهوة رئاسة الكهنوت. ومن كان متحرراً أصلاً من هذه الشهوة، ينبغي أن يبقى على حذر منها بعد وضع اليد عليه. أمّا إن كان أحد قد اقتنى بداخله هذا الوحش المفترس - وحش شهوة الرئاسة - قبل أن يصل إلى هذه الكرامة، فإنه بعد رسامته يزج بنفسه في جحيم داخلي يصعب وصفه.

## القانون الثاني عشر

قال أيضاً: إنما عمل الأسقف لينقي الأنفس فعلاً ولفظاً، ويرفعها بالتعاليم الفاضلة إلى الله، ويكون وديعاً شريف العقل، كمرآة بهية، يُقرّب عن رعيته القرايين التّقية، حتى يصيرهم قرباناً واحداً بهياً لله. وما سوى ذلك فزلة عمره.

### الكهنوت المسيحي، الكتاب الثالث

(١٦:٣) أي نوع من الرّجال ينبغي أن يكون من يواجه هذه الأعاصير، ويتصدّى لمعوقات الخدمة العامة؟ ينبغي أن يكون عزيز النَّفس في غير كبرياء، حازماً لكنّه رحيم، إدارياً بغير دكتاتورية، منصفاً بغير مجاملة، متواضعاً في غير خنوع، صارماً ورفيقاً معاً... واضعاً نصب عينيه هدفاً واحداً هو بناء الكنيسة بلا تحييز لصديق أو عدو.

نحزت قوانين الأب الفاضل يوحنا لسان الذهب صلواته معنا آمين.

والسبح لله دائماً أبداً سرمداً